الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

فلسفة التاريخ في الأفق النقدي لفلتر بنيامين

Benjamin Walter's Philosophical Vision of History

د.كمال بومنير أستاذ محاضر «أ» ، قسم الفلسفة ،
جامعة الجزائر2
K.boumenir@yahoo.fr

ملخص

الغرض من هذه الدراسة هو إبراز الرؤية الفلسفية للتاريخ لدى الفيلسوف والناقد الأدبي الألماني المعاصر فلتر بنيامين (Walter Benjamin(1940-1892، وأحد كبار ممثلي النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الذي يُعد اليوم من أهم الفلاسفة والمفكرين في العالم الغربي بصورة عامة وفي ألمانيا بصورة خاصة، وهذا قصد توضيح علاقة هذه الرؤية بالأصول الفلسفية والدينية التي أطرتها، وهذا ضمن سياق فلسفي وتاريخي حمل قلق هذا العصر وهمومه وأزماته. غير أنّ هذه الدراسة تنحصر في تحليل مفهوم حركة التاريخ ومدى إمكانية تغيير مساره، بحيث يمكن أن تصل الإنسانية إلى تحقيق سعادتها وحريتها وتتجاوز محنتها التاريخية والحضارية الراهنة.

الكلمات الدالة: النظرية النقدية، مفهوم التقدم، المشيحانية، النظم الشمولية.

Abstract

The purpose of this paper is to highlight the philosophical vision of the contemporary German philosopher and literary critic Walter Benjamin (1892- 1940), who is one of the major representatives of critical theory. He is considered today among the most important philosophers and thinkers in the Western world in general and in Germany in particular. The main topic of this paper is to clarify the relationship between this vision and its philosophical and religious roots within philosophical and historical context carrying the worries and anxieties of the era. However, this study is limited to the analysis of the concept of the movement of history, and the possibility of changing its course, so that humanity can achieve happiness and freedom.

In fact it is not easy to understand Walter Benjamin's philosophy of history without sketching the philosophical and religious sources that contributed to the founding and the framing of this philosophy that is marked by ambiguity and complexity. His theses on 'The Concept of History' (1940), which expresses his philosophy of history, is considered by the specialists of philosophy as the most significant document since the publication of Marx's theses on Feuerbach. Besides, it is considered ad an important document because it tries to overcome Hegel's metaphysics of history, and rejects some Marxist orthodox readings, especially after Walter Benjamin's deception by Stalinism.

ences, and did not attach importance to the scientific method as the best means to achieve democracy.

Key Words: *Critical Theory, Progress, Messianic, Philosophy of History.*

مقدمة

لا يمكننا فهم فلسفة التاريخ عند فلتر بنيامين بمعزل عن المصادر الفلسفية والدينية التي أسهمت في تأسيس وتأطير هذه الفلسفة التي تميّزت بالغموض والتعقد وصعوبة الولوج إلى مضامينها. هذا، وتُعد أطروحاته حول مفهوم التاريخ (1940)، التي عبّر فيها عن فلسفته التاريخية، من منظور المتخصصين في الفلسفة البنيامينية[1] من أهم النصوص الفلسفية والسياسية في القرن العشرين، ومن الوثائق الفكرية الأكثر دلالة منذ صدور أطروحات حول فيورباخ لماركس؛ وتظهر أهميتها أيضا في محاولة تخطيها لميتافيزيقا التاريخ الهيغيلية وفي رفضها لبعض القراءات الماركسية الأرثوذوكسية، وخاصة بعد خيبة أمل فلتر بنيامين من الستالينية. والحال أنّ قراءة فلتر بنيامين هي بمثابة شهادة على العصر الذي درسه، وخاصة بعد تدهور الأوضاع السياسية والتاريخية في أوربا في بداية الثلاثينات من القرن الماضي، في ظل النظم الشمولية كالستالينية والفاشية وانهيار التجربة الديمقراطية في ألمانيا بعد صعود النازية إلى الحكم عام 1933. والواقع أنّ كتاب بنيامين حول مفهوم التاريخ هو عمل فلسفي تضمن انتقادات لاذعة لهذه النظم الشمولية[2]، وخاصة النازية، ورفض لنهجها التسلطي والقمعي وللمآسي الموجعة والأحداث المفزعة التي سببتها للإنسان المعاصر، وفي إسهامها في تعزيز شعوره بالاغتراب.

المصادر الفكرية والدينية لفلسفة التاريخ عند بنيامين:

وقبل أن نتطرق إلى فلسفة التاريخ عند فلتر بنيامين علينا أن نشير إلى وجود ثلاثة مرتكزات أو مصادر أساسية أثرت تأثيرا مباشرا على فكره الفلسفي التاريخي أو فلسفته التاريخية ونعني بذلك على وجه التحديد : الرومانسية الألمانية Le romantisme allemand والمشيحانية اليهودية[3] Le messianisme juif والماركسية Le marxisme . ومن غير أن نتيه في التفاصيل يمكن القول إجمالا إنّ الرومانسية الألمانية قد شكلت مدار اهتمامات بنيامين الفكرية والأدبية منذ أعماله الأولى، وخاصة بعد مناقشته أطروحة الدكتوراه في عام 1919التي كانت بعنوان مفهوم النقد الجمالي في الرومانسية الألمانية. غير أنّ الرومانسية هنا لا تعني تلك المدرسة الأدبية أو الفنية التي نشأت في بداية القرن التاسع في ألمانيا، بل أكثر من ذلك، تمثل رؤية للعالم أو نمط من التفكير الذي تمظهر عبر مختلف أشكال الحياة الثقافية منذ جان جاك روسو إلى نوفاليس ووصولا إلى الحركة السريالية. هذا، وتتحدّد رؤية العالم الرومانسية كنقد ثقافي للحضارة أو الحداثة الغربية باسم قيم ماضية أو قبل حداثية، بعد ظهور سلبيات ونقائص كمكننة وتكميم الحياة الإنسانية، تشييئ العلاقات الاجتماعية، تفكك المنظومة الاجتماعية، وخاصة بعد إزالة السحر عن العالمLe désenchantement du monde كما يقول ماكس فيبر Max Weber . إذاك فقد العالم قداسته وأصبح مادة قابلة للتكميم والقياس، يمكن التحكم فيه علميا وتقنيا، ولذلك تم التحوّل من رؤية سحرية للعالم إلى رؤية عقلانية و"أداتية" Instrumentale للعالم، تخفي جهازا علميا وتقنيا تسعى في آخر المطاف إلى السيطرة الكلية على الطبيعة والإنسان.

غير أنّ تعلّق الرومانسية بالماضي والحنين إلى قيمه لا يعني أنها كانت منجذبة إلى نزعة رجعية أو ماضوية وذلك لأنّ هدفها لم يكن العودة إلى الماضي والانخراط فيه بشكل سلبي بل كانت تنشد فكرة التحوّل نحو مستقبل طوباوي[4]. لذا، كانت الرومانسية إحدى الأشكال الثقافية المهيمنة على الساحة الفلسفية والأدبية الألمانية، وقد تم التعبير عن هذا التوجه الرومانسي عبر محاولات عدة منها "إعادة سحر العالم" Le réechantement du monde . ومن اللافت للنظر أنّ بنيامين كتب في سنة 1913 مقالا بعنوان Romantik حيث دعا فيه إلى إنشاء رومانسية جديدة وأكد فيه أنّ "الإرادة الرومانسية للجمال والحقيقة والعقل هي بمثابة مكتسبات الثقافة الحديثة التي لا يمكن تجاوزها. وهذا ما يبيّن لنا تشبث بنيامين بالرومانسية التي اعتبرها فنا ومعرفة وفعلا ينشد التجديد[5]، وهذا قصد مواجهة مسار العقلانية والحداثة التي تحوّل فيها البشر إلى "آلات عمل" وتم إخضاعهم بصورة بائسة إلى آليات اجتماعية وهذا باسم التقدم الإنساني. على هذا الأساس، نستطيع القول بأنّ "أسطورة التقدم" Le mythe du progrès تتكشف تدريجيا عن أوهام الحداثة، كما أنّ دُنيوة ودهرنة العالم، وانسحاب "الإلهي" لمصلحة "الدنيوي" تؤشّر على أزمة عميقة، وتتمثل في فقدان الأمل في التحرّر. فتسليع Marchandisation المجتمع الحديث، واختزال قيمة الأشياء في القيمة التبادلية، يطبع الحياة الحديثة بالتفاهة والابتذال"[6]. غير أنه يجب التأكيد على أنّ نقد بنيامين لإيديولوجية التقدم ليس منطلقها نزعة محافظة وماضوية، بل وعلى العكس من ذلك، انطلق من موقف ثوري[7]، وهذا ما أشار إليه في مقاله حياة الطلبة في سنة 1914 حيث يقول: "تكشف لنا إحدى التصورات التاريخية، بكل وثوق في لانهائية الزمن، عن تواتر الأحداث المتسارعة نسبيا، التي انتقل فيها البشر ومرت بها العصور إلى التقدم، وهذا ما يفسر لنا الطابع غير المنسجم والغامض بل والصارم للاقتضاء المتعلق بالحاضر"[8]. وهذا ما أكده أيضا في أطروحاته حول مفهوم التاريخ "إنّ فكرة تقدم الجنس البشري عبر التاريخ غير منفصلة عن حركة في زمن متجانس وفارغ. إنّ نقد هذه الفكرة الأخيرة يجب أن يكون أساس نقد فكرة التقدم على العموم"[9]. ويمكن اعتبار هذا النقد " ثابتة من ثوابت فكر بنيامين، ظهر بمظهر رومانسي وطوباوي جديد أثناء ما يُعرف عند شرّاح بنيامين بكتابات المرحلة الثيولوجية (1913-1924) التي تقطع مع الكانطية الجديدة على أرضية رومانسية جديدة –كما أشرنا إلى ذلك سابقا- تدمج عناصر طوباوية بأخرى ذات أصول تبشيرية يهودية. ويصبح نقد التقدم لاحقا نقدا ماركسيا[10].

وفي مقابل ذلك، وبمثل ما نجد لدى المفكرين الذين قدموا صورا طوباوية[11] Utopique فيما يخص رؤيتهم التاريخية، فإنه يمكن أن نعتبر هذه الرؤية عند بنيامين على ضوء ذلك الوضع المحدّد الذي يختصرها في نقطة مركزة تتمثل في القول بأنّ عناصر الوضع النهائي لا ترد كنزعة تقدمية مشوّهة، ولكن بصفتها إبداعات وأفكار مذمومة ومستخف بها. والحال أنه لا يمكن فهم هذا الوضع إلا من خلال بنيته الميتافيزيقية كمملكة مشيحانية أو كفكرة ثورية. يتضح هنا أيضا، خلال ما سبق، أنّ المشيحانية هي في قلب التصوّر البنياميني للزمن والتاريخ، وإذا كانت فلسفة التاريخ التقليدية تدعي أنّ اليوتوبيا منقوشة في الزمن التاريخي ولا يمكن أن تعرف وهنا عبر التطور التاريخي، فإنّ بنيامين لا ينظر إلى اليوتوبيا – والتقدم الفعلي- إلا من خلال التوتر الذي يتعذر اختزاله بين التاريخ والمملكة المشيحانية[12]. لقد دعا في كتابه الهام مفهوم النقد الجمالي في الرومانسية الألمانية إلى البحث عن "الماهية التاريخية للرومانسية" في المشيحانية الرومانسية، وأكد على هذا البُعد المشيحاني للرومانسية الذي وجده في كتابات الرومانسيين الأوائل مثل شليغل ونوفاليس. لقد نقل عن شليغل قوله: " إنّ الرغبة الثورية في تحقيق مملكة الرب تمثّل بداية للتاريخ الحديث" [13]. ضمن هذا السياق يميّز بنيامين بين ما يسميه المفهوم النوعي للزمن اللانهائي Qualitative Zeitliche Unendlichkeit النابع من أصول المشيحانية الرومانسية التي تعتبر الحياة الإنسانية كعملية إنجاز أو تحقّق Accomplissement وليس فقط كصيرورة Devenir لما يسمى بالزمن الفارغ بالكلية Leeren Unendlichkeit der Zeit الذي أصبح يطبع إيديولوجيا التقدم للأزمنة الحديثة[14].

لكن ما العلاقة بين هاتين الرؤيتين الطوباويتين في المنظور البنياميني؟ ما الذي يجمع المشيحانية والنزعة الثورية ؟

بنيامين بين الإرث الديني-اللاهوتي والبديل الماركسي:

لقد عالج بنيامين هذه المسألة في مقاله الهام شذرة لاهوتية-سياسية الذي ميّز فيه بين الصيرورة التاريخية والصيرورة المشيحانية، حيث يقول: "المشياح Messie وحده يستطيع تحقيق الصيرورة التاريخية والخلاص، بالمعنى الذي يسترجع فيه علاقة هذه الصيرورة بالعنصر المشيحاني نفسه. إنّ الزمن الراهن، باعتباره نموذج الزمن المشيحاني، يلخص باختصار هائل، تاريخ الإنسانية برمتها، وهذا ما يتطابق بحق مع الصورة التي يشكلها في عالم تاريخ الإنسانية[15]. وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا بأنّ بنيامين حينما يتحدث عن الخلاص الذي يرتبط بظهور المشياح لا يتعلق بخلفية دينية لاهوتية فقط وإنما يتعلق أيضا بالجانب الدنيوي Profane أو اللاديني. وهذا يعني أنّ الخلاص بمفهومه الدنيوي يتمثل في تجاوز الاستعباد أو القهر الذي تم تسليطه على حياة البشر، ومن ثمة لا يتحقق الخلاص عبر انتظار المخلص (المشياح) "الذي ينزل من السماء ويملأ الأرض عدلا" بل إنّ البشر أنفسهم سيحقّقون خلاصهم بأيديهم، ولكل جيل قدرته وإمكاناته على تجاوز وضعه المأساوي واللاإنساني. لذلك، كان لزاما عليهم أن يحدّدوا وضعهم عبر مسار التاريخ من خلال الوعي بمهام تحقيق الخلاص. وما يقوله بنيامين هنا يقترب كثيرا من رؤية ماركس، لاسيما أنّ بنيامين قد استفاد -كما أشرنا إلى ذلك- من النظرية الماركسية. فالبشر -بحسب ماركس- هم الذين يصنعون تاريخهم ويتحرّرون بأنفسهم وإرادتهم للقيام بدورهم التاريخي. غير أنّ ما يميّز بنيامين عن ماركس هو أنه يرى إلى إمكانية الاستناد إلى المرجعية الدينية -اللاهوتية لإغناء الثقافة الثورية، وهذا من خلال الاستفادة من تراث الماضي الحامل أو المتضمن للأمل اليوتوبي والحلم التحرّري[16].

وفي ضوء هذا الرأي، لم يعد من الممكن أن يستند الواقع التاريخي، من تلقاء نفسه، إلى مخطط مشيحاني"[17]، بل يجب أن يستند إلى ذات تاريخية باعتبارها ذات قادرة على تغيير مجرى التاريخ وتغيير الوضع الإنساني. والسؤال الآن، كيف تتمفصل هذه الرؤية الدينية المشيحانية[18] والرومانسية بالمادية التاريخية في فكر بنيامين؟ لقد عرف فكر بنيامين عام 1924 -كما أشرنا إلى ذلك سابقا- منعطفا هاما بعد اطلاعه على كتاب المفكر الماركسي غيورغ لوكاش التاريخ والوعي الطبقي الذي حاول فيه تجديد الماركسية قصد إخراجها من الطابع الدوغماتي والميكانيكي الذي وقعت فيه، وذلك من خلال الرجوع إلى فلسفة هيغل على وجه التحديد. ويمكن أن نحدّد أثر هذا الكتاب الهام في أعمال ببنيامين اللاحقة التي تعكس تقبله لبعض أطروحات لوكاش المتعلقة بصورة خاصة بالرؤية الماركسية (اللوكاشية) للتاريخ والتشيؤ والاغتراب ووعي البروليتاريا ومفهوم المادية التاريخية. والواقع أننا إذا تأملنا مفهوم بنيامين عن المادية التاريخية مثلا سنجد أنه ليس بديلا عن رؤيته 'المضادة للتقدم التاريخي" التي استقاها من التراث الديني المشيحاني ومن الرومانسية وإنما هو مفهوم يمكن أن يتمفصل مع هذا التراث"[19]. هذا، ونستطيع القول بأنّ هذا التمفصل قد ظهر لأول مرة في كتابه اتجاه واحد عام 1928، الذي حذر فيه بنيامين من التهديد الذي يمكن أن يسببه مفهوم التقدم التاريخي "فإذا لم يتحقق انقلاب البروليتاريا على الطبقة البرجوازية في اللحظة المناسبة، ضمن سياق التطوّر التقني والعلمي (الذي ارتبط بالتضخم والحرب الكيميائية)، فسيضيع كل شيء"[20]. وبقي أن نشير إلى موقف بنيامين من منهج التغيير الثوري الذي تبنته الماركسية (الأرثوذوكسية)، والتي لم تنجح في تحقيق المجتمع المنشود، حيث استبعد أن تكون الثورة نتيجة بلوغ مستوى مرتفع من التقدم الاقتصادي والتقني، بحيث تستطيع الطبقة البروليتارية المزودة بالوعي الطبقي القيام بدورها التاريخي. ويحسن بنا في هذا المضمار أن نلاحظ بأنّ بنيامين كان ناقدا ثوريا لمفهوم التقدم وللنزعة التقدمية التي بشرت بها الماركسية، غير أنّه كان منجذبا بنوع من الحنين إلى ذلك الماضي ولكن في الوقت نفسه يحلم (رومانسيا) بالمستقبل القادم[21]. لقد تصورت الماركسية (التقليدية) العمل مجرد تقدم للسيطرة على الطبيعة وليس تراجعا اجتماعيا، وقد برهن ذلك بالملامح التكنوقراطية التي انتعشت في ظل الفاشية. فالعمل يُنظر إليه بارتياح ساذج دوما، مع أنه يتعدى استغلال الإنسان للطبيعة إلى استغلال الإنسان للإنسان نفسه[22]. واستنادا إلى هذه النظرة، يتبيّن لنا أن نص حول مفهوم التاريخ لبنيامين ليس دفاعا عن الماركسية الأرثوذوكسية (أو التقليدية) التي دافعت عن التصوّر التقدمي الساذج للتاريخ، حينما اعتقدت بإمكانية تحكم الإنسان في الطبيعة. علما أنّ إرادة التحكم الكلي في الطبيعة يقتضي أيضا التحكم في آليات السيطرة الاجتماعية والتنظيم العقلي للطبيعة والتاريخ وتحويلها إلى وسائل لا ينضب معينها عمليا. وكان تحقيق هذا الغرض يستلزم -وفق هذا المنظور- تحرير الطبيعة بواسطة العمل[23].

من النقد إلى أفق التغيير التاريخي:

ولنا أن نسأل الآن: كيف يمكن تحقيق مفهوم العمل التحرّري للطبيعة؟ وكيف يؤدي هذا العمل إلى تحرّر الإنسان نفسه؟ من غير أن نخوض في تفاصيل نص حول مفهوم التاريخ ، يمكن القول إجمالا أنّ بنيامين قد أدرك هذه الصعوبة الكامنة في رؤية الماركسية التاريخية والسياسية، لذلك أطّر مفهوم العمل (بالإضافة إلى المرجعية الماركسية) بالمرجعية الدينية (اليهودية على وجه الخصوص كما أشرنا إلى ذلك). لأجل هذا يتعين علينا أن نحدّد مفهوم العمل "التحرّري" لا يمكن أن يتحقق أو يتم إلا عبر تحطيم أو هدم ما يسمى بالزمنية التاريخية La temporalité historique التي أصبحت الإنسانية تعيش في قبضتها الصارمة وحتميتها المتصلبة. ولهذا السبب قدّم بنيامين تصورا مفاده القول بأنّ تحرّر البشرية يكون من خلال تقويض الاستمرار أو التواصل الزمني للتاريخ[24]. يمكن القول على هذا الأساس، وعلى خلاف الرؤية الماركسية الساذجة التي أكدت أهمية التقدم والرقي المادي الإنساني وبشرت بإمكانية تحقيق

مستقبل خال من الاستغلال، فقد ولى بنيامين وجهه شطر الماضي، نحو ما كان من الممكن أن يحدث في لحظة من لحظات التاريخ ولكن لم يحدث بالفعل[25].

ولكن الثورة ليست نتيجة "طبيعية" لهذا التقدم، بل إنّ موقف الماركسية من الثورة تعبّر عن توقف للتطور التاريخي الذي سيكون مآله -بحسب بنيامين- إلى الكارثة[26]. يترتب عن هذا المسار الذي اتخذه التاريخ الإنساني أنه " ليس تاريخ نمو المعنى وتحقيق الخلاص، كما ليس تحققا للروح المطلق[27]، إنه بالأحرى منظور تاريخي لحضور الكارثة " فالتاريخ يصبح خرابا " أكثر من كونه من كونه امتلاءً وطفحا بالمعنى، وهو ما يفسر إلى حد بعيد منظاريته لعالم الحداثة: ليست الحداثة تتويجا لهذا التاريخ الكوني، إنها بالأحرى اكتمال يعلن قدوم الكارثة"[28]. وعلى هذا فإنّ إدراك بنيامين العميق وتحسسه للكارثة التي أصبحت تهدد الإنسانية التي تزامنت مع ظروف سياسية وتاريخية خطيرة ومقلقة للغاية عرفتها ألمانيا وأوربا عموما بين 1914-1940. ولعل أهم تلك الظروف تتمثل، على وجه الخصوص، في جو الحروب التي عرفتها أوربا في تلك اللحظة التاريخية، تواري الحركات اليسارية وتشتته (في ألمانيا على وجه الخصوص) وقد بلغت في ذلك حدودها القصوى في النظم الشمولية أو التوتاليتارية، التي بلغت أوجّها بعد صعود النازية وما حل بأوربا في تلك الفترة التاريخية المأساوية من تاريخ الحضارة الغربية وما عرفته من وحشية وبربرية، فتحول التقدم إلى انتكاسة وتراجع خطير أصبح يهدد مصير هذه الحضارة نفسها،لأنّ هذه الوحشية أو البربرية التي تجلت في مأساة الحرب العالمية الثانية، وما خلفته هذه الحرب من ضحايا لم تكن ذات طابع تقليدي وإنما استندت بالأحرى على المعرفة العلمية والتكنولوجية المتاحة في تلك الفترة التاريخية. ولا شك أن هذه الظروف الصعبة والخطيرة قد أثرت في فكر بنيامين ودفعته إلى الانخراط في الموقف التشاؤمي، غير أن تشاؤمه ليس عدميا على غرار ما ميز بعض المفكرين الألمان في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين (كارل شميت Carl Schmitt وأزفلت شبينغلر Oswald Spengler و مويلر فان دير بروك Moeller Von der Bruck) الذين غلبت عليهم ما يسمى" الثقافة التشاؤمية" Kulturpessimismus. ويمكن القول على هذا الأساس بأنّ بنيامين يختلف بذلك عن هؤلاء المفكرين الذين وقعوا في نوع من التشاؤم العدمي، بينما كان اهتمامه منصبا على البحث على مخاطر وتهديدات التقدم التقني والاقتصادي الذي وعدت به الرأسمالية لأنّه قد حل محل هذا التقدم الكارثة العمياء التي ستعرفها الإنسانية في حقبة تاريخية مظلمة، كالقمع والموت والإبادة الممنهجة و"المعقلنة"، بحيث سرعان ما راحت تغرق في شكل جديد من أشكال البربرية المدمرة التي اختفت وراء العقلنة، والتي تستدعي حقا الفزع. وعلى أساس ذلك تحولت هذه العقلنة نفسها إلى أسطورةMythe . وفي هذه النقطة بالذات يقترب بنيامين من الأطروحة الأساسية لماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو التي وردت في جدل التنوير. ولكن يجب أنّ نوضح أن ما يميّز تصوّر بنيامين عن تصوّر زملائه من مدرسة فرانكفورت تنبع من اختلاف فكري أساسي؛ فبينما اعتقد هؤلاء أنّ مسار سقوط العقلنة من جديد في أحضان الأسطورة-على الرغم من أنّ العقلنة التي نشأت كضد للأسطورة كانت مسارا مميتا ومشؤوما بالنسبة إلى الإنسانية، فإنّ بنيامين يرى أنّ هذا المسار يمكن أن يقربنا من الأصل (باعتباره أساس ما هو منتظر حدوثه أي الأمل المنتظر) وفي الوقت نفسه من الغاية، ومن ثمة يخلق جملة الشروط التي تحقّق عملية الانقلاب على المستوى التاريخي[29]. لقد عبّر بنيامين عن هذا الأمل في أطروحاته حول مفهوم التاريخ من خلال لوحة الفنان لبول كلي[30] Paul Klee تُسمّى "الملاك الجديد" Angelus Novus تمثل ملاكا يبدو وكأنه يبتعد عن شيء يشد نظره. لقد كانت عيناه جاحظتين وفاه شاغرا، وهو باسط جناحيه. هذا ما كان يجب أن يشبه ملاك التاريخ. لقد كان وجهه متوجها نحو الماضي، وحيثما نرى نحن سلسلة الأحداث لا يرى هو سوى كارثة Catastrophe واحدة ووحيدة، لا تكف عن تكديس الخراب الذي يلقى أمام قدميه. إنه يود إيقاظ الموتى وجمع ما تم تقطيعه. ومن الجنة تهب عاصفة تنفخ بعنف جناحي الملاك المبسوطتين، إلى درجة لا يستطيع طيّها. إنّ هذه العاصفة تدفعه غصبا نحو مستقبل أعرض عنه، في الوقت الذي ترتفع فيه كومة الخراب نحو السماء. هذه العاصفة هي ما نسميه نحن التقدم[31].

خاتمة

من كل ما تقدم نستطيع القول بأنّ غرض فلتر بنيامين كان يتمثل في تحقيق رؤية فلسفية للتاريخ تكشف زيف التقدم الإنساني وتبين تهافته في ظل مسار الحداثة الغربية اعتبارا بالمسار التاريخي الذي اتخذه هذا التقدم، وما آل إليه في آخر المطاف من وضع كارثي ومأسوي في زمننا هذا، الذي عرف ويلات ومصائب وظواهر مرضية، وهذا بالرغم أنّ الإنسانية وصلت إلى درجة كبيرة من التقدم العلمي والتقني. لكن التقدم الإنساني الحقيقي لا ينحصر في الجانب المادي أو التقني فحسب، بل يتطلب التبشير بقيم إنسانية جديدة تتجاوز أشكال الاستغلال والقمع والسيطرة.

الهوامش:

1-يميّز المتخصصون في فلسفة التاريخ البنيامينية بين ثلاث مدارس فكرية اختلفت في تأويل نص أطروحات حول مفهوم التاريخ وهي:

أ- المدرسة المادية أو الماركسية: التي ترى في بنيامين مفكرا ماركسيا، لذا، يجب اعتبار أفكاره الدينية- اللاهوتية مجرد استعارات ومجازات. وهذا تأويل برتولت بريشت Bertolt Brecht على وجه الخصوص.

ب- المدرسة اللاهوتية: التي ترى أنّ المرجعية اللاهوتية اليهودية مرجعية قد حدّدت مساره الفكري والفلسفي منذ السنوات الأولى من تكوينه، وأنّ المرجعية الماركسية (المادية التاريخية) لا تشكل عمق مساره الفكري. هذا هو تأويل صديقه غيرشوم شوليم Gershom Scholem.

ج- مدرسة التناقض: التي تعتقد أنّ بنيامين حاول التوفيق بين نقيضين، الماركسية واللاهوت الديني اليهودي، على الرغم من صعوبة (أو استحالة) الجمع بينهما، ومن ثمة فشل وتهافت المشروع الفكري البنيامينيي برمته. وهذا التأويل لممثل الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت يورغن هابرماس.

للتعمق في تأويل يورغن هابرماس انظر:

JürgenHabermas,«Digressionsurles«thèsessurlaphilosophie

de l'histoire de Benjamin » in Le discours philosophique de la modernité. Traduit par C. Bouchindhomme et R.Rochlitz, Paris, Gallimard, 2011, pp, 1318-.

2-Michael Löwy, Walter Benjamin : Avertissement d'incendie. Une lecture des thèses « Sur le concept d'histoire », Paris, PUF, 2001, p. 4.

3-المشيحانية: Messianisme في القبّالة اليهودية تعني "الاعتقاد بمجيء "المشياح" أي المسيح Le messie الذي يأتي بالخلاص للبشر، بحيث يتم وفق هذا الاعتقاد استرجاع النظام الكوني الذي خططت له العناية الإلهية، فتنهار إرادة الشر وتنتهي الكوارث التي حلت بالبشرية عبر المسار التاريخي، بحيث تعود الأشياء إلى مكانها الأصلي والطبيعي. ثم يبدأ الفردوس الأرضي ليعيش البشر في وئام وسلام، ومن هنا الطابع الطوباوي للمشيحانية اليهودية للتعمق في مفهوم المشيحانية اليهودية راجع الدراسة التالية:

Gershom Scholem, Le messianisme juif, Traduit par B. Dupuy, Paris Calmann Lévy, 1974.

راجع أيضا: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري، دار الشروق،القاهرة، 1999.

4-Michael Löwy, Walter Benjamin : Avertissement d'incendie. Une lecture des thèses « Sur le concept d'histoire », p 6.

5-Walter Benjamin, « Romantik » in Gesammelte Schriften , Francfort, Suhrkamp Verlag, 1977, p 46.

6-عبد العالي معزوز، جماليات الحداثة. أدورنو ومدرسة فرانكفورت، ص141. 6

7-Michael Löwy, Walter Benjamin : Avertissement d'incendie. Une lecture des thèses « Sur le concept d'histoire », p 7.

8-Walter Benjamin, « La vie des étudiants » in Mythe et violence, traduit par Maurice de Gandillac, Paris, Les Lettres nouvelles, 1971, p 37.

9- Walter Benjamin, « Sur le concept d'histoire » in « Œuvres » Tome III, Traduit de l'allemand par Maurice de Gandillac, Rainer Rochlitz et Pierre Rusch, Paris, Editions

Gallimard, 2000, p 443.

10- صالح مصباح، "الزمان والتاريخ والكارثة"، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، العدد 26/25، 10 السنة2001، ص 51.

11-اليوتوبيا كلمة يونانية تعني ما ليس له مكان. وقد انحدر من هذا المعنى اللغوي معنى فلسفي أصبحت بمقتضاه تعني ما لا يمكن تحقيقه وقد أطلقه توماس مور على البلد الخيالي الذي وصفه في كتابه اليوتوبيا، والتنظيم المثالي للمجتمع البشري الذي وصفه أيضا كمبانيلا في كتابه مدينة الشمس . أما كلمة يوتوبي (أو طوباوي) فتعني ما يصدر عن اليوتوبيا أو ما يشكّل العقلية الطوباوية. لمزيد من التفصيل انظر:

أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، المجلد الثالث، تعريب خليل أحمد خليل. منشورا عويدات، بيروت، 1996، ص 1516.

12-Rolf Tiedemann, Etudes sur la philosophie de Walter Benjamin Traduit de l'allemand par Rainer Rochlitz, Paris, Actes Sud, 2009, p 141.

13-Walter Benjamin, Le concept de critique esthétique dans le romantisme allemand. Traduit par Philippe Lacoue Labarthe et Anne-Marie Lang, Paris, Champs essais, 2008, p 37.

14-Michael Löwy, Walter Benjamin : Avertissement d'incendie. Une lecture des thèses « Sur le concept d'histoire », p 9.

15-Walter Benjamin, « Sur le concept d'histoire » in « Œuvres » Tome III, p 443.

16-Michael Löwy, Walter Benjamin : Avertissement d'incendie. Une lecture des thèses « Sur le concept d'histoire », p 38.

17-Walter Benjamin, « Fragment théologico-politique » in « Œuvres » Tome I, p 263.

18-إنّ السمة الرئيسية لمعظم مفكري النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت (ماكس هوركهايمر، ثيودور أدورنو، هربرت ماركوز، فلتر بنيامين) كانت هي السمة العلمانية ورفض الدين الرسمي، ومن ذلك الديانة اليهودية نفسها، وأنّ كثيرا من أعمالهم كانت نقدا للثقافة التقليدية من منطلقات ماركسية أو فرويدية. غير أنه في كل الحالات ينبغي العودة إلى السياق الاجتماعي من ناحية وما تضمنته الأعمال الفكرية نفسها، من ناحية أخرى. انظر:

سعد البازعي، المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2007، ص312-337.

19-Michael Löwy, Walter Benjamin : Avertissement d'incendie. Une lecture des thèses « Sur le concept d'histoire », p 10.

20 -Walter Benjamin, Sens unique, traduit de l'allemand par Jean Lacoste, Paris Les Lettres Nouvelles, 1978, p 205.

21-Michael Löwy, Walter Benjamin : Avertissement d'incendie. Une lecture des thèses « Sur le concept d'histoire », p 2.

22-إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، بيروت، دار الساقي، 2012، ص 233

23-Bruno Tachels, Walter Benjamin, une introduction, Paris, presses universitaires de Strasbourg, 1992, p120.

24-Ibid., p121.

25-Gérard Raulet, Walter Benjamin, Paris, ellipses, 2000, p 61.

26-Michael Löwy, Walter Benjamin : Avertissement d'incendie. Une lecture des thèses « Sur le concept d'histoire », p10.

27-يقول فريدريش هيغل: " إنّ التاريخ الكلي ينتمي إلى مملكة الروح. ولكن الروح ، ومجرى تطورها، هي موضوعنا الأساسي.فمهمتنا لا تتطلب منا أن نتأمل الطبيعة بوصفها نسقا عقليا في ذاته، على الرغم من أنها في مجالها الخاص تبرهن على أنها كذلك، بل أن نتأملها من حيث علاقتها بالروح فحسب. فعلى المسرح الذي نشاهد الروح عليه، وأعني به: التاريخ الكلي، تكشف الروح عن نفسها في حقيقتها الأكثر عينية. انظر: فريدريش هيغل، العقل في التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 1983، ص 85.

28-عبد العالي معزوز، جماليات الحداثة. أدورنو ومدرسة فرانكفورت، ص 14028

29-Gérard Raulet, Le caractère destructeur .Esthétique, théologie et politique chez Walter Benjamin. Paris, Aubier, 1997, p 52.

30-كلي، بول(Paul Klee): فنان سويسري1879 1940-، يعتبر أحد مؤسسي الفن الحديث. تأثر بالحركة الانطباعية ثم بالتكعيبية. من أهم لوحاته سينيسو عام 1922، علامات صفراء عام 1937، الموت والنار 1940.

31- Walter Benjamin, « Sur le concept d'histoire » in « Œuvres » Tome III, p 434.